

الطريق إلى وادي عربيه تمر بلندن*

يوسي بايلين

أود تكريس الكلمات التالية لشخص واحد، له قسط كبير في شبكة العلاقات المعقدة والحساسة والسرية حتى الآن، بين إسرائيل والأردن. وهو ليس وحيداً؛ فقد كان لعشرات الإسرائيليين ولعدد أقل من الأردنيين ومواطنين من دول أخرى قسط في تلك الشبكة. بعض هذه المساهمات تم الكشف عنه، وبعضها الآخر سيعلن فقط عندما يصبح الأمر ممكناً في المستقبل. فاللورد فكتور مشكون أدى دوراً مركزياً في شبكة العلاقات هذه عندما استؤنفت سنة ١٩٨٥، ووصلت إلى ذروتها في نيسان/أبريل سنة ١٩٨٧. ومعظم اللقاءات التي تمت بيننا وبين الأردنيين في تلك الفترة عقد في منزل اللورد القروي أو في منزله في لندن. أما اللقاءات التي أجريت في أماكن أخرى فإنها تمت من خلال مساعدة مكثفة من جانبه.

واللورد مشكون رجل قانون يهودي واسع الخبرة وينتمي إلى حزب العمال البريطاني، وكان سابقاً رئيس بلدية لندن. وقد نسج علاقات صداقة مع الملك حسين عندما كانت ابنة الملك وأخته تدرسان في كلية واحدة في بريطانيا. وكان لأعوام طويلة يؤمن بأن الملك حسين مهتم بكل قوته في التوصل إلى سلام مع إسرائيل. واعتقد أن في إمكان خط المؤتمر والمحادثات الثنائية أن يقود إلى توقيع اتفاق سلام بين إسرائيل وبين الأردن والفلسطينيين قبل دول عربية أخرى.

ومرات لا حصر لها، عبر اللورد مشكون جسور نهر الأردن، حاملاً المراسلات الخطية والشفهية بين القدس وعمان، ومبدداً سوء التفاهم، وموضحاً ما يتطلب الإيضاح، ومزيلاً جميع العقبات.

إنه يهودي حقيقي، يملك منزلاً في هرتسلييا، ويرسل أولاده وأحفاده إلى هذا المنزل لضمان ارتباطهم بإسرائيل. وهو لورد حقيقي، إذ إنه يحافظ على قواعد وآداب السلوك البريطانية، ويتفوه بالكلمات الصحيحة في المكان الصحيح، وباللهاجة الصحيحة. ويحافظ على قواعد الضيافة الملكية المنضبطة.

* "يديعوت أحرونوت"، ٢٧/١٠/١٩٤٤.

وقد كُرس خلال تلك الأعوام الكثير من عطل نهايات الأسبوع للمحادثات وعمليات التنسيق الكثيرة استعداداً لتلك المحادثات؛ حيث كان لا يجوز الإخفاق في أي تفصيل: متى ستصل هذه السيارة، ومتى ستصل السيارة الأخرى؛ كيف وأين سيمارس رجال الأمن من كلا الجانبين مهماتهم؟ وما الذي سيحدث إذا اكتشف أمر اللقاء؟ هذه الأمور كلها نفذها شخصياً من خلال الهاتف أو بصورة مباشرة، في محادثات مفيدة جداً كانت تنتهي دوماً، تقريباً، بكلمتي jolly good (رائع جداً).

لم تكن هذه اللقاءات محاولات عبثية للتوصل إلى انطلاقة في عملية السلام. فقد توصلنا فيها إلى توافق في الآراء وتفاهم تواصل لوقت لاحق، وخولا السلام مع الأردن إلى أمر طبيعي ومفهوم تلقائياً. وكان للورد مشكون قسط كبير في التوصل إلى هذا التفاهم.

وفي ١١ نيسان/أبريل ١٩٨٧، توصلنا في منزل اللورد في لندن إلى ما أُطلق عليه لاحقاً اتفاق لندن. وشارك في المحادثات عن الجانب الأردني الملك حسين ورئيس حكومته في ذلك الوقت، زيد الرفاعي. ومن جانبنا، كان هناك، بالإضافة إلى شمعون بيرس وأنا، ممثل بارز جداً لرئيس الحكومة آنذاك، يتسحاق شمير. واليوم يمكن قول ما لم نكن نستطيع قوله. طوال الأعوام الماضية - لم يكن هناك كذبة أكبر من القول إن اتفاق لندن كان تجاوزاً لرئيس الحكومة يتسحاق شمير؛ فاللقاء تم بمعرفته، والاتفاق كتب خلال اللقاء من دون أية مسودة مسبقة. وكان لممثل شمير قسط في بلورته.

وآنذاك آمن اللورد مشكون بأن السلام صنع في منزله. وكان هذا إحساسنا جميعاً. لكن، مثلما فوتت حكومة غولدا مئير [فرصة] السلام مع مصر في شباط/فبراير ١٩٧١، هكذا فوتت حكومة الوحدة الوطنية، برئاسة يتسحاق شمير سنة ١٩٨٧، التسوية مع الأردن بسبب معارضة الليكود.

واليوم، الذي نصادق فيه، بتوافق واسع وبيسر نسبي، على معاهدة السلام مع الأردن يجب ألا نخدع أنفسنا بالقول إنه سلام في مقابل السلام. فما كنا لنصل إلى سلام مع الأردن لولا الاتفاق مع الفلسطينيين، بما في هذا الاتفاق من ثمن. ولن نصل إلى سلام مع لبنان من دون ثمن ندفعه لسوريا. ومن يؤيد السلام مع الأردن ومع لبنان بدعوى موضوعية - ظاهرياً - مؤداها أنه عندما يتحقق السلام بشروط

معقولة، فإنه سيؤيده، جدير به أن يعلم بأنه يضل نفسه. فحتى السلام مع الأردن لم يولد من تلقاء نفسه.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>